



كون، مايكل، (2016) كيف تفكر العلوم الاجتماعية في الاجتماع العالمي – مخطّط لبحث نقدي، شتوتغارت إبيديم

نظرة عامة

بدافع من السؤال – كيف أن 200 سنة من تفكير العلوم الاجتماعية، وخاصة تفكير العلوم الاجتماعية النقدية، لم يجعل العالم أفضل – يحدّد هذا الكتاب نظرية حول العلوم الاجتماعية. وهو يجادل في 5 فصول بأن العلوم الاجتماعية هي شكل معين من أشكال التفكير، لا تظهر فقط مع ظهور اجتماع الدولة القومية، بل هي شكل من أشكال التفكير الذي يفكر في الاجتماع من خلال وجهات النظر التي تكون للدولة القومية بالنسبة إلى الاجتماع باعتبار الدولة القومية بمثابة البنى الاجتماعية الخاصة بهذا الشكل من أشكال التفكير، وطريقة التفكير هذه تنعكس على الاجتماع من خلال نظام من أنظمة الفئات، الذي يستنسخ إدراكًا شواغل عملية تملكها الدولة القومية بوصفها اجتماعًا، باعتبارها المعرفة العلمية الخاصة التي تملكها الدولة القومية بوصفها اجتماعًا في شأن نفسها.

في الفصل ألف يُظهر الكتاب على امتداد أمثلة من نظريات العلوم الاجتماعية المعاصرة الرائدة، كيف أن العلوم الاجتماعية تبني فكرها ليس فقط من خلال حصر الفكر في الاجتماعات القومية الفردية، مفترضًا مسبقًا دائمًا بأن الاجتماع المحصور قوميًا يسمح بفهم الظواهر الاجتماعية، بل بالتنظير من خلال وجهات النظر المتعلقة ببنى الدولة القومية، التي ما أن تنظر إلى ما وراء النظائر الاجتماعية القومية، حتى تتكشف عن تفكير لدى العلوم الاجتماعية يتجه حتمًا نحو التفكير الإمبريالي حقًا في الاجتماع العالمي، مجادلًا في شأن أي معرفة من المعارف المبنية قوميًا تتحكّم بالتفكير. ثم يجادل بأن معارضة تفكير إمبريالي كهذا لا تنتقد الطريقة الخاصة للطريقة المتحيزة للتنظير لدى الدولة القومية، ولا نظريات العلوم الاجتماعية الرائدة، بل تعارض أحادية التنظير في العالم الإمبريالي حول هذه الطريقة المتحيزة قوميًا للتنظير بفكر بديل متحيز قوميًا، فجرى بالتالي تقديم هذه المعارضة كمعركة بين الكيانات العلمية المبنية قوميًا، مثل النظريات الجنوبية في مقابل "الغربية"، وهي معركة حول أي من النظريات هي نظريات تنظير عالمية وتنتظر للقواعد، وبالتالي، هي طريقة بديلة عن التفكير الإمبريالي. ومن خلال القيام بذلك، فإن هذه المعارضة – كما يقول الكتاب – هي المعارضة للنظريات المصاغة مكانيًا منذئذ، أي المعارضة للنظريات "الغربية"، التي تعمّم أخيرًا تفكير العلوم الاجتماعية باعتباره طريقة تفكير العالم في اجتماع العالم، وبالتالي تعمّم أخيرًا أيضًا طريقة التفكير التي تحض – انتقادًا كأي وقت مضى – الدول القومية في العالم على اتباع المثال الخاص بالعلوم الاجتماعية، مثال الدولة القومية مع مهمته النهائية الهادفة إلى خدمة بشر العالم. ويجادل أيضًا بأن هذه المعارضة لا تقتصر على تقليد طريقة التفكير نفسها من خلال آراء الدولة القومية حول الاجتماع فحسب، بل تدعو صراحة إلى التفكير المنحاز قوميًا، المصوغ في هذا الكتاب على أنه "تفكير وطني"، وهو نوع أحدث من التفكير لدى العلوم الاجتماعية التي تجادل ضد العناصر المتبقية من الموضوعية في مفهوم المعرفة الموضوعية النسبية، وتعارضها باعتبارها معرفة "عالمية"، وتدعو إلى إحلال عالم العلوم الاجتماعية المكوّن من العديد من المعارف "الإقليمية" محل تعدّد المعرفة النسبية. ولكي يجري إنشاء عالم العلوم الاجتماعية هذا، المؤلف من نظريات وطنية كثيرة، يناقش هذا الفصل من ثم النقاشات الحديثة في مجال العلوم الاجتماعية، التي تنتقد وتغفل الأسس العلمية للعلوم الاجتماعية، فنتراجع بالتالي نحو أنواع الغوامض كلها، التي تغلبت العلوم الاجتماعية مرة عليها في ترسيمها للحدود بينها وبين التفكير الديني، مما يمهّد الطرق لنهضة التفكير

الديني باعتباره أحدث اختلاف محدث في تفكير العلوم الاجتماعية. وهكذا، يخلص الفصل إلى أن النقاش حول عولمة العلوم الاجتماعية هو مسعى نموذجي في العلوم الاجتماعية يفسد المهمة السياسية التي تجعل العلم مصدرًا قوميًا لسوق المعرفة العالمية والمعرفة التي تحكم فيها المعرفة التفكير بوصفه رسالة نحو أفكار نبيلة كهذه، مثل "الكوزموبوليتانية".

وبناقش *الفصل باء* في الجزء الأول الهيكل التخصصي لتفكير العلوم الاجتماعية، وفي الجزء الثاني الفئات الأساسية المؤسسة لكيفية بناء التخصصات لوجهة نظرها التخصصية الخاصة على المستوى الاجتماعي.

في الجزء الأول يوضح الكتاب أن بنية الفكر الاجتماعي المبنية باعتبارها تعددًا للتفكير التخصصي، هي بالفعل لا تعكس بأي حال من الأحوال مختلف جوانب الطبيعة البشرية، بل فقط تقسيم الدولة القومية نفسها المزعوم إنساناً - المواطن - في وجوده المتعدد، وكأن هذا المواطن سيتكوّن حقًا من مشاريع الحياة الفردية والسياسية والاقتصادية المنفصلة؛ هي الدولة القومية المزعومة إنساناً مقسماً إلى إنسان حر ومتكافئ سياسياً، وحرية السعي إلى تحقيق أهداف حياته بين مواطنين متساوين، وهي المساواة التي نشأت عن التجريد المنقذ سياسياً من الوسائل الاقتصادية التي يمتلكها هؤلاء البشر لتحقيق أهدافهم الحياتية. هذه الدولة القومية المزعومة مواطناً مقسماً إلى فرد حر ومتساوٍ، ومخلوق سياسي واقتصادي، والمخاوف المنفصلة للوجود المتعدد لدى هذه الأمة المزعومة مخلوقاً حول الاجتماع، تمثل تقسيم الفكر الاجتماعي إلى تفكير تخصصي، إلى وجهات نظر منفصلة متعددة تفسّر من خلالها الاجتماع.

أما الجزء الثاني الذي يتتبع الأسس الفئوية للتخصصات التي تؤسس رؤيتها الخاصة على الاجتماع فيبين على طول النظريات الأنثروبولوجية / الثقافية، وعلم الاقتصاد، وعلم الاجتماع، والنظرية السياسية، وعلم النفس، أن كل التخصصات تتقاسم أساساً الصورة الميافيزيقية نفسها للبشر، والتهديد الذي يمثله الإنسان الفوضوي وغير المرؤوس وغير القابل للحكم، وهو تهديد يجده التفكير التخصصي في الطبيعة البشرية بهدف تأسيس وجهة النظر التخصصية الخاصة حول الاجتماع المتمثلة بالسيطرة على هذه الطبيعة البشرية، وهي طبيعة من الواضح جداً أنها طبيعة المواطن الجنس هكذا. وتبين مناقشة الضروريات الفئوية أن ما يجده التفكير التخصصي في الإنسان هو فقط طبيعة مخلوقات الدولة القومية، للكشف عن الدولة القومية كرد على هذه الطبيعة البشرية. وهي تفرض هذه الصورة الميافيزيقية للبشر على طبيعة البشر عن طريق تخيل المواطنين، المخلوقات نفسها لمجتمعات الدولة القومية التي ينشئها هذا النظام المجتمعي فقط، الخصوم المتنافسين، كتهديد إن لم يكونوا خاضعين لـ"آليات الترتيب" الخاصة بالأنثروبولوجيا، ومنظمين في "عدم اليقين" الخاص بهم من خلال احترام "النردة" في التفكير الاقتصادي، و"مهيكلين" من قبل "المجتمع" في التفكير الاجتماعي، و"مرؤسين" من قبل السلطة السياسية في علم السياسات، ومتمتعين بسيطرة ذاتية عن طريق ترويض معاركهم الأخلاقية الداخلية في التفكير النفسي. هي هذه الاختلافات الطفيفة في كيفية استيعاب التهديدات العديدة للإرادة الحرة التي وجدت الطريقة الخاصة لتنظير التخصصات الفردية حول الاجتماع. في العلوم الاجتماعية لا يزال التفكير النظري يقف رأساً على عقب. فحلاً للفلسفات الكلاسيكية، حيث العالم الحقيقي ليس إعادة صياغة لفكرة، في العلوم الاجتماعية، حيث التفكير في "الحقائق الحقيقية"، يثبت التفكير حقيقة المثل العليا التي يخلقها المفكرون حول العالم. لا تفكر العلوم الاجتماعية حقاً في العالم الاجتماعي، بل في احتمال وكيفية امتثال العالم للرسائل المتخيلة التي تفرضها العلوم الاجتماعية في العالم الاجتماعي باعتبارها أهدافها، والرسائل المبنية من صورها التخصصية عن البشر؛ وكما هي الحال بالنسبة إلى التفكير الديني، يستمد تفكير العلوم الاجتماعية من صورته التخصصية حول العالم اهتماماته النظرية، ممارساً التنظير حول العالم والتفكير في مسألة ما إذا كان العالم هو كيف يُفترض أن يكون أو هو ليس كذلك. وبسبب هذه المثالية يتكوّن التفكير التخصصي من معرفة إيجابية بشكل نقدي وترويضية بشكل مثالي على حد سواء، تشكل في وسيلة ترويض نظام المجتمع باعتبارها تساعد البشر على التأقلم مع طبيعتهم، وتراقب بشكل نقدي ما إذا كانت وسائل المجتمع توفر هذه الخدمة لمواطنيه.

وبناقش *الفصل جيم* في الجزء الأول التقنيات الخاصة بخلق المعرفة من قبل إدراك العلوم الاجتماعية، وفي الجزء الثاني تطورات التفكير الغائي.

ويتناول الجزء الأول كيفية ممارسة إدراك العلوم الاجتماعية التي تسير على أنها تقيس العالم على أنه انحراف أو تطابق مع مثلها العليا، أسلوباً إدراكياً معيناً من خلق الفكر الاجتماعي، وتقنية الإدراك، التي يتشكل العالم فيها بوصفه شاهداً على المثل عن طريق الواقع، وهو الواقع الذي تدرج فيه العلوم الاجتماعية مسبقاً مثلها العليا، وهو "الواقع التجريبي"، وهو واقع تخلفه العلوم الاجتماعية من أجل هذه العملية الإدراكية، وهو واقع مختلف تجد فيها أفكارها في "الحقائق الحقيقية". ويحلل هذا الجزء على طول بعض الأمثلة كيف أن تفكير العلوم الاجتماعية يمارس هذه الطريقة الدائرية للتفكير الغائي التي لا يحل فيها التفكير لماذا تكون الأمور على ما هي عليه، بل يمارس هذه المقارنة الطائشة للواقع في مقابل مثله العليا المؤداة كتفكير من خلال الافتراضات المسبقة لنظريات يقارب من خلالها تفكير العلوم الاجتماعية أهداف التفكير الخاصة بها. وهذه هي طريقة التفكير الغائي من خلال الافتراض المسبق للنظريات التي تؤدي إلى معرفة موضوعية نسبياً، بالنسبة إلى افتراضاتها، وهي معرفة تعتبرها فروع العلوم الاجتماعية المعرفية ضرورة طبيعية من ضرورات التفكير ومعرفة ترقّيها إلى مصاف طبيعة الفكر الاجتماعي.

ثم يُظهر في الجزء الثاني كيف أن النقاشات المعرفية الأحدث للعلوم الاجتماعية حول العلوم الطبيعية، التي تهدف إلى تنفيذ موضوعية معرفة العلوم الطبيعية، أثبتت على نحو معاكس، على طول تقديمها الغامض بالتالي للمعرفة من المعرفة المزيفة إلى المعرفة الصحيحة باتجاه "تحويل النموذج"، كيف تمهد نقاشات هذه العلوم الاجتماعية للمعرفة النسبية المزعومة للعلوم

الطبيعية السبل إلى تحليل معرفة العلوم الاجتماعية باتجاه مفارقة المعرفة الذاتية للعلوم الاجتماعية. هذا هو إضفاء الغموض على التقدم في المعرفة في العلوم الطبيعية من المعرفة المزيفة إلى المعرفة الصحيحة، على أساس التوافق - زورًا - بين المعرفة الحقيقية والمعرفة المشتركة التي تثبت أيضًا لنظريات المعرفة لدى العلوم الاجتماعية، المعرفة النسبية أيضًا لدى العلمية الطبيعية، وبالتالي توفر التبرير المعرفي للنظريات المعولمة للعلوم الاجتماعية كمجموعة من النظريات الكثيرة المتحيزة قوميًا.

ويناقد *الفصل دال* في الجزء الأول الخلق الخطابي للمعرفة الموضوعية النسبية الحقيقية، وفي الجزء الثاني كيف تتطور هذه المعرفة.

وهو يجادل بأن الصراع مع تناقض المعرفة الموضوعية النسبية الذي تحلّه العلوم الاجتماعية عن طريق تحويل هذا التناقض إلى تناقض للمعرفة الحقيقية باعتبارها معرفة مشتركة، ويناقد المفارقات حول كيفية خلق المعرفة المشتركة بين العديد من المعارف الحقيقية النسبية. ويوضح الفصل كيف أن نظريات المعرفة في العلوم الاجتماعية تحول هذا التناقض في المعرفة المعترف بها إلى مفارقة التسلسل الهرمي للمعارف، فتميز بين نظريات العلوم الاجتماعية والنظريات الفوقية التي توجه خلق النظريات - وبالتالي تعيد إنتاج مفارقة المعرفة المعترف بها في طبيعة المفارقات الخاصة بالخطابات بين المعارف المعترف بها. وفي الجزء الثاني، يناقد هذا الفصل السؤالين اللذين أثارهما هذا التناقض في المعرفة المعترف بها، وهما: كيف تصبح المعرفة معترفًا بها - نظرية فوقية - في حال لا يمكن تمييزها عن المعرفة الأخرى باعتبارها معرفة صحيحة، وكيف تتقدم المعرفة المعترف بها، في حال لا يمكن أن تتقدم من المعرفة المزيفة إلى المعرفة الصحيحة؟ الإجابة هي: لتصبح نظرية ما نظرية فوقية، يجب أن تعيد تفسير أي تقدم ملموس في أجناس السياسة الإمبريالية باعتباره فرصة حاسمة لمقاربة المثل العليا للعلوم الاجتماعية في دولة قومية تخدم مواطنيها، وهذه أسطورة يمكن فقط للعلوم الاجتماعية أن تكشفها باعتبارها الأحلام التي يسعى إليها العالم في الواقع. هذه الإجابة عن كيفية تقدم معرفة العلوم الاجتماعية تجيب، أخيرًا وليس آخرًا، أيضًا على السؤال: لماذا يتعايش التفكير النقدي للعلوم الاجتماعية وعالم من الفقر والحرب على مدى 200 سنة التاريخ المشترك؟

ويعرض *الفصل هاء* بعض الاعتبارات حول كيفية التغلب على تفكير العلوم الاجتماعية وتجاوزه.